

## الفصل السابع عشر

### السلطان الجديد

لما مات السلطان محمود تغير بموته مجرى حوادث المسألة المصرية . وقد خلفه على العرش عبد المجيد ابنه الحادى والعشرون ، وكان لا يزال شابا لم يكمل السابعة عشرة من عمره . وقد أشرفت على تعليمه وتربيته والدته ، وهى جارية كرجية تسمى بزم عالم ( بهجة العالم ) ، كانت أهديت إلى أبيه . ولما لم يكن لها ابن سواء فقد كانت شديدة التعلق به ؛ وبسبب ما كان لها من نفوذ اختير لمنصب الصدارة خسرو باشا عدو محمد على الألد ؛ واختار خسرو خليلا باشا ليكون سر عسكر الجيش التركى <sup>(١)</sup> .

وانتهزت الوزارة فرصة تولية السلطان الجديد فأمرت بوقف القتال . ولكن خسرو باشا لم يكن كيسا لبقا فى خطابه الذى كتبه بذلك إلى محمد على . لقد كان خليقا بالصدر الأعظم أن يعرف أن العداوة مستحكمة بينه وبين محمد على ، وأن وجوده فى الباب العالى من شأنه أن يجعل عودة السلام بين البلدين من أصعب الأمور ؛ لأنك إذا طلبت إلى الرجل السياسى أن يحو شخصيته ويضحى بها على مذهب الوطنية ، فقد طلبت إليه أمرا عسيرا . لكن خسرو لم يفكر فى ذلك بل بادر إلى إرسال خطاب إلى مصر جاء فيه ما بلى :

قلت فى خطابى الذى أرسلته إلى سموكم منذ بضعة أيام ، إن مولانا المعظم

(١) كدلقين وبرو فى كتابهما السالف الذكر جزء ٢ ص ١٤٨ .

السلطان عبد المجيد خان الأنغم لم يكذب يجلس على عرش السلطنة ، الذى شاءت إرادة الله أن يخلو من الجالس عليه ، حتى تحركت فيه بواث العدل والحكمة اللتين أنعم الله بهما عليه ، فقال منذ الساعة الأولى لتوليته :

« لقد غيرت بعض الأعمال التى أتاها محمد على باشا والى مصر قاب والدنا صاحب الذكرى المجيدة ؛ ف وقعت على أثر ذلك أمور وحوادث عدة . ولكننى لشدة حرصى على خير الشعوب التى وضعتها العناية الإلهية تحت سيطرتى ورفاهيتها ، ولرغبتي فى حقن دماء المسلمين من أن يراق منها شىء بعد الآن ، فإنى على استعداد لأن أمحو من ذاكرتى أحداث الماضى ، وأعفو عن هذا الوالى بشرط أن يقدم لى خضوعه التام . وسأنعم عليه بوسام كسائر وزرائى ، وأمنحه حكم مصر ، وأجعل لابنه حق وراثته من بعده .

« ولقد اختارنى جلالة السلطان صدرا أعظم له مع حقارة شأنى »<sup>(١)</sup> . ولم يكن فى هذا الخطاب ما يتفق مع آراء محمد على إلا عبارته الأخيرة ، أما بقية ما جاء فيه فلم يلق منه إلا ازدراء . ولو أن خسرو باشا أجهد فكره لكان يجمع أكبر عدد يستطيعه من الأغلاط ، ويحشرها حشراً فى بضعة أسطر ، لما استطاع أن يخترع أكثر ولا أشنع مما زج به فى هذه العبارة القصيرة . ولم يشر خسرو فى خطابه إلى الاستقلال ، ولكنه قبل فيه مبدءاً وراثته العرش . وكان محمد على قبيل الحروب الأخيرة ، أى فى ١٥ مايو سنة ١٨٣٩ ، قد أخبر المسيو كوشليه Cochelet القنصل الفرنسى العام أنه لم يعد يصر على الاستقلال ، وأنه يرضى بالصلح إذا اعترف بحق وراثته أبنائه له<sup>(٢)</sup> . ولو أن الصدر الأعظم لم يكن

(١) المصدر عينه جزء ٢ ص ١٣٢ .

(٢) بولينس فى كتابه السالف الذكر ص ٥٩ من المقدمة .

مغلاطاً بطبعه ، لاستطاع أن يكسب رضا الباشا بهذا الاقتراح الذي عرضه عليه ، لكنه لم يكسبه ورد عليه محمد علي في ١٥ يولييه سنة ١٨٣٩ يقول :  
 « تشرفت بخطاب سعادتكم الذي تبلغونني فيه أن صاحب الجلالة الشاهانية مولانا المعظم السلطان عبد المجيد قد جلس على سرير الملك الذي شاءت الإرادة الإلهية أن يخلو من صاحبه ، وأن جلالته قد عفا عني وأنعم عليّ بالوسام الذي أنعم به على سائر الوزراء ، وأنه يعترف بحق أولادى في وراثة عرش مصر ، وأن الأوامر قد صدرت إلى حافظ باشا بأن يقف زحفه ، وأن عاكف أفندى أرسل إلى ليقنعنى بأن الضرورة تقضى علينا بأن نحتفظ بالوحدة الإسلامية خالصة من كل الشوائب .

« فاسمحوا لى أنؤكد لكم أن أول ما أعنى به هو أن أعبر عن رجائى فى أن يحقق الله آمال مولانا الأعظم وولى نعمتنا ورئيس دولتنا ، وأن يمد الله على الخافقين ظل رعايته . . . ولكن خطاب سعادتكم لا يذكر شيئاً غير مصر ، كما أن عاكف أفندى يقول إن التفويض الذى بيده مقصور عليها ، ولا يجوز له التحدث فى التخلّى عن غيرها من الولايات لى ولأولادى من بعدى . ولذلك فإنى لا أستطيع قبول مقترحاتكم ، كما أنه لا فائدة ترجى من بقاء رسولاكم هنا ، ولهذا يستحسن أن يغادر البلاد ، لأنه يرى من المصلحة أن يبلغ سعادتكم شفويا أموراً قد يكون من الخير أن يبلغكم إياها <sup>(١)</sup> »

ذلك هو رد محمد على الرسمى على جواب خسرو . لكنه أرسل فوق ذلك إلى الصدر الأعظم خطاباً خاصاً قال فيه : « إما أن تغير عواطفك نحونا وإما أن تستقيل <sup>(٢)</sup> » . ولما كان يعرف أن السلطانة الوالدة هى حاكمة تركيا الحقيقية ،

(١) كدثقن و برو فى كتابهما السائف الذكر جزء ٢ ص ١٧٢ .

(٢) المصدر عينه جزء ٢ ص ١٧٥ .

كتب إليها رسالة يطلب إليها أن تعزل خسرو من منصبه . أما الصدر الأعظم فلم يمانع من أولئك الذين لا يعرفون كيف يكتبون رسالة ، ولكنه كان من ذلك الصنف من الموظفين الذين قال فيهم تومس جفرسن Thomas Jefferson صاحب إعلان الاستقلال الأمريكي « قليل منهم من يموت وليس منهم من يستقيل » . وإنك لتجد كثيراً من الأتراك يعوزهم الذكاء<sup>(١)</sup> ولكنك لا تجد من بينهم الجبان الرعديد . ولذلك ثبت خسرو في مكانه وأخذ يدس الدسائس بنفسه . وبدأ عمله بزيارة أمير البحر روسن ، الدبلوماسي الفرنسي البحار ، الذي كان لا يزال سفيراً لفرنسا في الآستانة ؛ وسأله هل يقبل منه في الحقيقة السياسية الفرنسية المرسلة إلى مصر أربعة خطابات يبعث بها إلى أربعة من الضباط الأتراك في الأسطول العثماني الراسي في الإسكندرية . ولما كان البحارة على استعداد دائم لأن يجاملوا أبناء مهنتهم ، فقد قبل روسن في هذه المرة الخطابات المحتومة دون أن يفطن إلى أن ما ينقل في الحقيقة يجب أن يكون على الدوام غير مختوم ، وإن كانت الحقيقة يرسل فيها ما لا يحصى من الأشياء ، لا فرق بين أصباغ الشفاه وأدوات المائدة ، فضلاً عن المراسلات السرية . ولم يفطن أيضاً إلى أنه قد تكون لدى خسرو أسباب خاصة هي التي جعلته يبعث إلى هؤلاء الرجال الأربعة برسائل سرية .

وكان الأسطول الذي يعمل فيه هؤلاء الضباط الأربعة قد أرسل إلى الإسكندرية ليذكر هذا الثغر بدفاعه . فلما علم القبطان باشا قائد الحملة بوفاة السلطان محمود ، وجاءته أوامر جديدة معدة لأوامره الأولى ، ارتاب

(١) هكذا يقول المؤلف ولكن اعتقادنا أن الأتراك لا يقلون ذكاء عن غيرهم من الشعوب .  
(المعرب)

في الأمر « فجمع ضباطه » كما يقول ددول « Dodwell » وأكد لهم أن خسرو يريد أن يسلم الأسطول إلى الروسين ، وأن خيراً لهم والحالة هذه أن ينضموا إلى محمد علي . فوافقوا على ذلك بالإجماع<sup>(١)</sup> .

وهكذا بقي القبطان باشا وضباطه في الإسكندرية ليعاونوا بمدافعهم محمداً علياً ، لا ليضربوا بها هذا الثغر . وقد أرسل الصدر الأعظم خطاباتة السرية لتحريض الضباط الذين خانوا تركيا على الغدر بقائدهم . ووصلت الرسائل الأربع المحتومة إلى الإسكندرية في الرابع والعشرين من شهر يولييه سنة ١٨٣٩ . ولما فتح القنصل الفرنسي الحقيبة السياسية وجد فيها الرسائل ، ولكنه لم يجد ما يدل على سبب إرسالها . واتفق أن كان على موعد في السراي في صباح ذلك اليوم ، ولكنه وصل إليها قبل الوقت المحدد ، فجلس ينتظر دوره ، وذكر عرضاً إلى أرتين بك أحد رجال الحاشية أن الخطابات الأربعة معه ، وأنه سيعطيها إلى أصحابها عقب خروجه من السراي مباشرة .

وكان أرتين رجلاً أرمنياً يقظاً أميناً ، فترك القنصل في حجرة الانتظار وأبلغ الباشا أمر الخطابات . فلما أذن للمسيو كوشليه بالمثل بين يدي الوالي بادره محمد علي وعلى ثغره ابتسامته الساحرة قائلاً : « أين تلك الخطابات التي جاءتك من الآستانة ؟ هل تسمح لي بأن أراها ؟ لست أظنك ترفض » . وكان محمد علي قد قال قوله عرضاً وبسلامة قلب ، فلم يتردد القنصل الفرنسي في إبراز المظاريف الأربعة وقال :

« إن هؤلاء الرجال ليسوا في الميناء الداخلي الآن ، وسأكون شاكر لكم كل الشكر إذا مكنتموني سمومكم من أن أوصل هذه الخطابات إليهم » . فأجاب

(١) ددول في كتابه السالف الذكر ص ١٧٥ .

الباشا دون أن تفارقه بشاشته طوال هذا الحديث : « إذا كان هذا يسركم فإني لا شك فاعله ؛ وسأحمل الخطابات إليهم بنفسى إذا دعت الضرورة » . وما كان أشد دهشة المسيو كوشليه وذعره حين تناول الوالى منه المظاريف وفض أختامها الأربعة وهو يقول « ولكنها مختومة » . وسرعان ما عاد إلى القنصل هدوءه فاحتج بشدة على ما فعله الوالى ؛ ولكن محمداً علياً قال له : « لا تغضب إن هذه الخطابات ستصل إلى أصحابها آمنة ، كما لو كنت أنت الذى أوصلتها ؛ فاتركها وخذ من كاتبى إيصالاً بها » . وبعد أن قال ذلك أمر بها فقرئت عليه ، ورأى فيها دعوة من خسرو إلى الضباط البحريين أن يتركوا القبطان باشا ويهاجوا محمداً علياً . وعند ذلك خارت عزيمة القنصل فلم يستطع أن يفعل شيئاً ، وإن كان قد ظل مغيظاً مغضباً ؛ كما أنه عجز حتى عن إبلاغ الأمر إلى وزارة الخارجية الفرنسية ، لأنه لو فعل لأثحت هذه الوزارة باللائمة على السفير روسن لسماحه بنقل رسالة مختومة فى الحقيبة السياسية إلى أشخاص لا علاقة لهم بخدمة وزارة الخارجية ، ولربما نال القنصل أيضاً بعض اللوم على الدور الذى اضطلع به فى هذه المسألة<sup>(١)</sup> .

ومر محمد على مما حدث فكتب إلى خسرو ينبئنه أن سعيه قد أخفق ، وقال الباشا فى سياق تعليقه عليه : « لقد وصات الخطابات الأربعة الرسالة من فخامتكم إلى أصحابها الضباط سالمة »<sup>(٢)</sup> .

وقهقه الباشا ضاحكاً من عجز القنصل الفرنسى ، لأنه كان يعلم أن كوشليه سيقى مغلول اليدين . وسره أيضاً أن تكون له الغلبة على خسرو بهذه الطريقة الخفية . ولم يكنف محمد على بأن يخبر الصدر الأعظم بأنه أخفق فى سعيه للاستفادة

(١) كدلفين وبرو فى كتابهما السالف الذكر جزء ٢ ص ١٧٧ .

(٢) المصدر عينه جزء ٢ ص ١٨٠ .

من الحصانة التي تتمتع بها الحقيبة السياسية ؛ بل أرسل منشورا إلى جميع وزراء السلطنة يستعين بهم على إبعاد خسرو ، قل لهم فيه إن أعماله قد أوقعت الإسلام في أشد صنوف البلاء ، وإنه كان سبب جميع المصائب التي تواتت على الدولة العثمانية منذ سنين .

وكان أول ما فكر فيه خسرو بعد هذا الهجوم هو مصالحه الخاصة ، فلما رأى أن محمداً علياً يعمل بكل جهده لإخراجه من منصبه ، اعتزم أن يحتفظ بمنصب الصدارة وأن تؤدي السلطنة ثمن احتفاظه به ؛ ولذلك استقر رأيه على أن يجيب الباشا إلى جميع مطالبه . ولم يكن الاستقلال واحداً من هذه المطالب ، بل كانت كلها تدور حول منحه حق توريث أبنائه حكم مصر والشام وجميع البلاد التي تسيطر عليها القوات المصرية . وبينما الصدر الأعظم يهني نفسه بأنه قد وجد حلاً يمكنه من البقاء في منصبه العالي ، إذا بالسفير النمساوي في الأستانة يتلقى تعليمات من مترنيخ تغير مجرى الحوادث تغييراً تاماً .

ذلك أن الحكومات الأوربية أوجست في نفسها خيفة من وفاة السلطان محمود ، وهزيمة الجيوش التركية في نصيبين ، ومطالب محمد علي . وارتاع الساسة الذين كانت بيدهم مقاليد الأمور في لندن وباريس وبطرسبرج وويانة أشد الارتياح ، لأنهم لم يكونوا يعلمون بما كان في ذمة المستقبل . وكان أخوف ما يخافه بالمرستون وسولت ومترنيخ أن يعتمد القيصر على معاهدة خونكار اسكاه سي فيغزو تركيا بجموده ويحتل شواطئ البسفور ؛ ومحا خوف المشاكل الروسية شخصية محمد علي من عقول الساسة إلى حين .

وكتب كدلقين وبرو في ذلك يقولان : « وكانت الظروف وقتئذ تدعو إلى اتخاذ قرار عاجل في الموضوع . وسبقهم مترنيخ إلى العمل لأن المعلومات

وصلت إليه قبل غيره من الساسة ، وتهيأت له بذلك فرصة طيبة نادرة جديدة بمقامه وشهرته ، فاستطاع بما أوتيته من شعور بالتبعة أن يتولى الأمر بالنيابة عن أوربا ، ولكنه التزم في عمله منتهى الحزم والفطنة <sup>(١)</sup> .

وعارض مترنيخ في النزول عن شيء إلى محمد علي ؛ لأن الوزير النمساوي كان نصير الرجعية فكان لهذا السبب يقاوم أشد المقاومة محمداً علانياً الذي يمثل قضية الحرية . واندفع بالمرستون إلى صفوف الرجعية لشدة كراهيته للروسيا ، ولأن بونسني سفيره في الآستانة كان كما يقول ددول « مملوء القلب حقداً على روسيا ، حتى أنه كان يشتم رائحة الدسائس الروسية في كل أمر من الأمور ؛ وكان موقفاً بصفة خاصة أن الباشا تحركه أيدي روسيا ؛ واستطاع أن يثبت هذه العقيدة في نفس بالمرستون » <sup>(٢)</sup> ؛ وأماسولت الذي تجلبت شجاعته الحربية في أسترلنز Austerlitz « فإن هذه الشجاعة لم تكن تظهر إلا إذا وقف أمام العدو » كما قال فيه أحد عارفيه . فهو جندي باسل ولكنه سياسي دجال ؛ ظلم محمداً علانياً كما ظلم نابليون ؛ وخدع أهله وغرر به خارج ميدان الحرب ، ثم سار على نفس الطريقة في علاقته مع الوالي ، وإن لم يقف معه في يوم من الأيام جنباً إلى جنب في صفوف القتال .

ولو سمح ليأترك كامبل Patrick Campbell بالبقاء في الإسكندرية ، حيث كان يمثل بريطانيا منذ عام ١٨٣٣ تخفف من « حقد بونسني الشديد » لسعة علم هذا القنصل بدقائق المسألة المصرية ، ولما كان يشعر به نحو محمد علي من إجلال وإخلاص . ولو لم يستسلم بالمرستون لمترنيخ لما تحول خسرو عن

(١) المصدر عينه جزء ٢ ص ١٨٢ .

(٢) ددول في كتابه السالف الذكر ص ١٧٨ .



مقصده ، واسلم لمحمد على بحق الوراثه الذى كان يطلبه . وكان كامبل « قد جرؤ على أن يعلن جهره أن الدولة العثمانية تستعيد تقدمها ورخاءها إذا عزل خسرو من منصبه ، ودعى محمد على باشا ليعاون على إصلاح شأنها<sup>(١)</sup> » . لكن هذا الدبلوماسى الجرىء عزل عن منصبه بطريقة لا تليق بمثله ، فى الوقت الذى تعقدت فيه المشكله المصرية إلى أقصى حدود التعقيد .

ولم تكن إقالة هذا السياسى متفقه مع التقاليد البريطانية ؛ لأن لندن قلما تبعد الرجل المقيم فى مكان الحادثات إذا أحست بأن أمورا سياسية ذات بال على وشك الوقوع . وأكبر ظننا أنه لو استبقى كامبل فى الإسكندرية ، وسمح له بالدفاع عن آرائه ، لما صارت خريطة شرق البحر الأبيض المتوسط إلى ما صارت إليه الآن . وإنا لنظن أن « روح » السيدة هسترلوسى استأنهوب كانت لها يد فى استدعاء هذا الرجل ، وإن كنا لا نستطيع أن نؤيد هذا الظن بالدليل . وكل ما نستطيع أن نقوله إن اللورد بالميرستون كان رجلا حاد المزاج ، مندفعاً فى بعض الأحيان ، لا يأبى عليه طبعه أن يتأثر بسهام الرسائل التى تصوبها إليه حفيده نبيل من نبلاء الإنجليز .

وكان من واجبات المستر كامبل أن ينظر فى ملتصق تاجرى حمص السالف الذكر ، والذى يطلبان فيه المال من ابنة أخت پت . ولما كانت مصر ولا تزال<sup>(٢)</sup> بلداً خاضعاً لنظام الامتيازات أى أن القانون فيه شخصى لا أرضى ، فقد كانت السيدة هستر خاضعة لقضاء القنصلية البريطانية العامة بالإسكندرية . وأكبر ظننا أن كامبل بحث مطالب التاجرين ، ولربما أغضب بعمله السيدة هستر النبيلة نصيرة الدروز وعدوة إبراهيم السياسية . وأنت إذا أسأت إلى امرأة أو ظنت

(١) المصدر عينه ص ١٨٠ .

(٢) كان ذلك فى عام ١٩٣٥ . (المرب)

هي أنك أسأت إليها ، كظمت غيظها وصبرت على موجدتها ولم تنسها .  
 و يقيننا أن ثمة علاقة بين معروض تاجرى حمص الذى يطالبان فيه السيدة هستر  
 لوسى استانهوب بمبلغ ٥٢٠٠ ريال ، وبين عزل المستر كامبل واندفاع پلمرستون  
 إلى تأييد برنامج مترنيخ . نعتقد ذلك ولكننا قد نكون مخطئين فى هذا الاعتقاد ؛  
 وسواء أصبنا فيه أو أخطأنا ، فإننا نعرف أن القنصل البريطانى العام بُلَّغ فى شهر  
 سبتمبر سنة ١٨٣٩ « بعبارة موجزة خالية من المجاملة أن فى نية پلمرستون أن  
 يشير باستدعائه من منصبه ، وأنه كان يفكر فى ذلك منذ عام <sup>(١)</sup> » .

وكان الأقدار كانت تعمل على تعقيد المسألة المصرية وإقامة الصعاب فى وجه  
 محمد على ؛ فخاف كامبل فى منصبه الكولونل هُدجس Colonel Hodges الذى  
 وصل إلى الإسكندرية فى ديسمبر سنة ١٨٣٩ . ولو كان هذا القنصل قد اتصف  
 بما طبع عليه موظفو وزارة الخارجية البريطانية من النظر إلى الأمور نظرة شيئية  
 غير شخصية ، وأوتى ما أوتى أبناء جنسه من اتساع الفكر ونفاذ البصيرة ، لتأثر  
 بعدالة مطالب الباشا الأولى ، ولحمله هذا التأثير فى ظننا على الدفاع عن قضية التقدم  
 والحرية ضد الرجعية . لكن القنصل الجديد كان كما قال ددول قولاً أكيداً  
 « حاد الطبع صخباً خصباً . وكانت فاتحة أعماله أن تنازع مع وكيل شركة النقل  
 فى الإسكندرية لأنه فرض أجراً على رسائله إطاعة لأوامر مدير البريد العام ؛  
 وثنى بعد ذلك بأن اتخذ موضعاً لثقتة نائب القنصلية ؛ وكان رجلاً مفرطاً فى  
 شهواته تماماً ، جعل همه نقل الأحاديث التى من شأنها أن تثير غضب القنصل  
 العام وناظر الخارجية . ثم أغضب بأعماله هيئة القناصل بأجمعها ؛ ولذلك رأى  
 من الحكمة إبعاده من الإسكندرية قبل أن يعاد فتح القنصلية العامة فى

(١) المصدر عينه فى نفس الصفحة .

سنة ١٨٤١ ، لكي تهدأ أعصابه في جو هامبرج الهادئ المريح . ويلوح أن ما قام به من الخدمات في أزمة عام ١٨٤٠ قد جوزى أحسن جزاء ، إذ سمح له بأن يحمل رتبة الفريق التركية<sup>(١)</sup> .

وتم الاتفاق بين الدول على العهد الذي أراح بال خسرو ورفع عن عاتقه عبئه الثقيل في ٢٨ يولييه سنة ١٨٣٩ وقد جاء فيه :

« إن السفراء الخمسة<sup>(٢)</sup> الموقعين على هذا يهنئون أنفسهم ، إذ يعلنون إلى الباب العالي بناء على التعليمات التي تلقاها كل منهم من حكومته أن الاتفاق قد تم بين الدول الخمس على الأمور الخاصة بالمسألة الشرقية . وهم لذلك يرجون الباب العالي أن لا يتخذ في المسألة قراراً حاسماً من غير موافقتهم<sup>(٣)</sup> » .

ومع أن هذه المذكرة قاطعة مؤكدة ، ومع أن ما جاء فيها من التأكيدات كان صريحاً لا يتطرق إليه الشك ، فإن ما كان لمحمد علي في نفس خسرو من احترام هو به خليق ، جعله يقول له في رده على خطابه المؤرخ ١٥ يولييه ، والذي يرفض فيه رفضاً باتاً الاقتراحات المعروضة عليه من قبل الباب العالي :

« يحتوي رد سموكم على بعض عبارات اللوم ، كما أنكم تقولون فيه إن الخطاب الذي يحمله عاكف أفندي يشير إلى قصر مبدأ الوراثة على مصر وحدها ؛ وجوابي عن ذلك أنه إذا لم يكن هذا الخطاب أكثر صراحة مما هو ، فلأن هذه هي أول مرة تثار فيها هذه المسألة . واقد بحثت الأمر مع الوزارة ، ثم عرضتها من جميع نواحيها على جلالة السلطان ، وكنت على وشك أن أبعث إليكم برسول ليفاوض سموكم فيها ، وإذا بسفراء الدول الخمس الكبرى يقدمون المذكرة

(١) المصدر عينه في نفس الصفحة .

(٢) أضاف سفير بروسيا توقيعه إلى توقيعات ممثلي إنجلترا وفرنسا والروسيا والنمسا .

(٣) كدلقين وبرو في كتابهما السالف الذكر جزء ٢ ص ١٨٨ .

المشتركة المرسلة إليكم صورتها مع هذا . وسترون في هذه المذكرة أن الدول تعد الآن مشروعا تسوى به المسألة تسوية نهائية . وإني وإن كنت لا أقبل ، ولا أستطيع أن أقبل ، مبدأ تخويل هذه الدول حق التدخل في العلاقات القائمة بين التابع ومتبوعه ، فقد بدا لي أن من الحكمة أن لا أخطو خطوة أخرى ما دامت الدول تتباحث الآن في المسألة <sup>(١)</sup> .

وعرف محمد علي لساعته معنى هذا التدخل ؛ وهدته سعة حياته التي لا تفارقه أبداً إلى وجوب الاتجاه بنفسه إلى السلطان ، فكتب في اليوم الثاني من أغسطس سنة ١٨٣٩ خطاباً يدل على منتهى المهارة في التعبير وصياغة الألفاظ . ولكن المسألة كانت قد خرجت عن دائرة الألفاظ والتعابير ، لأن عبد المجيد لم يكن أكثر من غلام يافع ؛ وحتى لو كان رجلاً لما استطاع أن يكون له شيء من النفوذ ، لأن السياسة العليا قد نزلت إلى ميدان العمل ، وأبعدت من طريقها تلك الدمية التي وضعت على رأس الدولة العثمانية .

وأجاب محمد علي القناصل الخمسة الذين ناصرُوا خسرو بقوله :  
« إني أعتقد أن الدول ستعاملني بالعدل والإنصاف ، فإذا ما فعلت ذلك فلن أجد صعوبة ما في قبول قرارهن . والحق أنني ليس لدى ما أقوله سوى كلمتين . إن الذي أريده هو « أن يعترف بحقوق الوراثة في سوريا ، ( ٢ ) وأن يعزل خسرو من منصبه <sup>(٢)</sup> » .

ووثق الباشا أن أوروبا ستفيله ما طلب ؛ وأخذت الصحافة الفرنسية تشد إزره ، لأن باريس لم تكن راضية كل الرضا عن الاتفاق الذي تم في ٢٨ يولييه

(١) المصدر عينه جزء ٢ ص ٢٠٥ .

(٢) بوليتس في كتابه السالف الذكر ص ٧١ من المقدمة .

سنة ١٨٣٩ ، وكانت تعتقد أن هذا الاتفاق شر من معاهدة خونكار اسكاه سى لأن الثانية قد وضعت تركيا تحت إشراف روسيا ، أما هذا الاتفاق الجديد فقد جعل السيادة على الدولة العثمانية لأوربا مجتمعة ؛ واعتقد الرأى العام الفرنسى أن وزارة الخارجية الفرنسية كانت قصيرة النظر . وقد أشار دبدور Debidour فى كتابه القيم الدقيق فى تاريخ أوربا السياسى إلى سبب موافقة إنجلترا وروسيا وبروسيا على مقترحات مترنيخ ، ثم قال بعد ذلك : « ولكن يحق لنا أن نسأل أنفسنا عن السبب الذى جعل فرنسا تبادر من غير تردد إلى الاشتراك مع أعدائها فى الضغط على أصدقائها » .

وقد يكون جواب هذا السؤال أن سوات كان صاحب السلطة فى ذلك الوقت ، وأنه كان ممن ينتهزون القرض . ومهما تكن الأسباب التى دعت إلى توقيع الاتفاق المشترك ، فإنه لم يمض على توقيعه إلا القليل حتى اختلف فى الرأى مع پامرستون ؛ وذلك لأنه هو كان لا يمانع فى أن تكون بلاد الشام من أملاك محمد على الوراثية ، وأما وزير الخارجية البريطانية فكان من رأيه إعادة هذه الولاية إلى تركيا . وبلغ القيصصر نبأ هذا الخلاف فرأى فيه وسيلة لبذر بذور الشقاق بين ملكة إنجلترا الشابة وملك فرنسا الكهل ؛ وأرسل لهذا الغرض رجلا سياسيا محمكا خبيراً بشؤون الشرق الأدنى هو البارون برونوف Brunow وزوده بالتعليمات اللازمة للعمل على كسب صداقة پامرستون . ولم يخف على مترنيخ ما عسى أن تتمخض عنه تلك الساعة من أمور جسام ؛ لكنه كان شديد الخوف من إحكام الصلات الودية بين إنجلترا الحرة وروسيا القيصرية ؛ لأنه كان يشعر أنه إذا نجح برونوف فى توثيق الصداقة بين الدولتين ، أضر ذلك بقضية الرجعية . ولذلك عزم على أن ينقض ما أجمعوا

عليه من قبل ، فاقترح أن يلغى اتفاق ٢٨ يولييه سنة ١٨٣٩ ، وأن يستبدل به اتفاق جديد . فعرض على الدول مشروعا جديداً في يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٣٩ جاء فيه :

تبلغ مصر وتركيا :

(١) أن الدول لا تمنع في أن يتم الاتفاق مباشرة بين الباب العالي ومحمد علي .

(٢) أن الدول كلها تقف في وجه إبراهيم إذا حاول الزحف <sup>(١)</sup> .

ولم يكد مترنيخ يلقى هذه القنبلة حتى قامت الصعاب في وجه وزارة سوات . وتفصيل ذلك أن محمداً علياً كان قد منح فرنسا كثيراً من المزايا التجارية ، وأصبح له فيها كثير من الأنصار . وساعد أدلف تيير Adolphe Thiers على تمكين حب محمد علي في قلوب الشعب ، وزيادة عدد أصدقائه ، إذ خبل إليه أن محمداً علياً وناپليون قد شقا من نبعة واحدة . وكان يرى في المسألة المصرية فرصة سمحت لفرنسا لتستعيد بها ما كان لها من المهابة والكامة النافذة في شؤون أوروبا الغربية <sup>(٢)</sup> . فأخذ يهاجم وزارة سوات بكل ما أوتي من قوة حتى أسقطها في ١٣ يناير سنة ١٨٤٠ ، حينما قدمت حكومة ذلك الوقت مشروعا بتخصيص معاش للدوق ده نمور Duc de Nemours وهو الأمير الذي ورد ذكره من قبل ، والذي قلنا إنه رُشح لعرش بلاد اليونان قبل أن يخلق . وقبل أن يفوض لوى فليب الأمر إلى تيير بحث مع رئيس وزارته الجديد المسألة المصرية بحذافيرها ؛ وأيقنا بعد هذا البحث أنهما قد احتاطا لكل ما عساه أن ينشأ من المشاكل . وكان كلاهما راغباً في أن يحتفظ بكيان الدولة العثمانية ، ولكنهما كانا في الوقت نفسه

(١) كدلتين و برو في كتابهما السالف الذكر جزء ٢ ص ٣٠٠ .

(٢) تيير والملكية الفرنسية تأليف جون م . س . أليسن طبعة كنستابل وشركائه

يشعران بكثير من العطف على محمد علي ، ويريان أن هذا العطف يتفق مع مصالح فرنسا ، وذلك لاعتقادها أن الإسكندرية أنسب مكان لإنشاء دائرة نفوذ فرنسية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط . وقد اختاذا من التقرب الذي بدا بين إنجلترا وروسيا ، فاعترضا أن يتنمعا الدولتين من التنكيل بالباشا<sup>(١)</sup> .

وكانت نتيجة كل هذه المباحكة والمناقرة ، وكل هذه المناورات الدبلوماسية ، أن ازداد محمد علي استمساكا بموقفه ؛ لأنه رأى أن الخلاف قد دب بين الدول الأوربية ، فأيقن أنه إذا لم تلن قناته وثبت في موقفه فإن الدول لن تتفق على إخضاعه لما تريد قوة واقتدارا . ولكنه فاته أن پلمرستون قد اعزم أن يبقيه مقيدا بأغلال التبعية التركية ، ولو أدى ذلك إلى انفراد إنجلترا بالعمل . ويقول في ذلك جودلا Guedalla : « دع باريس تبدى ما تشاء من العطف على محمد علي ، ودع نابليون السلام بجهر كما يشاء بإعجابه بإسكندر مصر الجديد<sup>(٢)</sup> » ثم ينقل عن پلمرستون قوله :

« ولكن هل يخاطران من أجل ذلك بحرب بحرية ؟ وأين يجدان السفن التي تضارع الأسطول البريطاني ، والتي يقفان بها في وجهه وحده ، دع عنك الأسطول الروسي الذي لا بد أن ينضم إلينا إذا جد الجد ؟ وماذا يكون مصير الجزائر إذا اشتبكنا في حرب مع دولة تفوق فرنسا في القوة البحرية ؟ وهل توقدان من أجل محمد علي نار حرب أوربية عامة ؟ وماذا يرجوان من ذلك كله ؟ هل يستطيعان مساعدة محمد علي بالزحف على نهر الرين ؟ وإذا ما فعلا ألا يرتدان مسرعين على أعقابهما ويعودان يضربان أضدريهما ؟ إنك لتسمع من الفرنسيين ألفاظاً ضخمة والسكنك . . . »<sup>(٣)</sup> .

(١) المصدر عينه ص ٢٧٩ .

(٢) لوى فليب ومحمد علي .

(٣) پلمرستون تأليف جودلا ص ٢٢٤ .

وبينما كانت الصحافة الفرنسية تملأ أنهارها « بأضخم الألفاظ » كما قال  
 پلهرستون ، كانت وزارة الخارجية الفرنسية ملتزمة غاية الحذر . وخير ما يدل  
 على خطتها رسالتها إلى كوشليه التي تقول فيها .

« وحاذر حتى أن تشير على الوالى بصفة رسمية أن يسوى علاقته مع الباب  
 العالى مباشرة ؛ لأن هذه النصيحة ستثير فى إنجلترا معارضة ليس من المصاحبة  
 إثارتها ؛ وحسبنا أن نفهم محمداً علياً مبلغ ما يستفيد إذا مهد السبيل للجهود التي  
 يبذلها أولئك الذين يعملون لكسب عطف الباب العالى عليه » .

وأنت فترة من الزمن لاح فيها أن هذه الخطة ستثمر الثمرة المرجوة . وذلك  
 أن خسرو باشا أرغم على الاستقالة فى شهر يونيه ؛ ولكن تبين بعد ذلك أن  
 پلهرستون ليس بالرجل الذى يتضعع أمام هذه الخطط . ولقد رأى هذا السياسى  
 أن معنى هذه الاستقالة رجحان كفة فرنسا ، فقابل هذه الحركة بالاتفاق مع  
 روسيا والنمسا وبروسيا على معاهدة سميت بمعاهدة لندن ، وقعتها هذه الدول  
 فى ١٥ يولييه سنة ١٨٤٠ ، ونص فيها على أن تكون باشوية مصر وراثية فى ذرية  
 محمد على ، وأن تبقى الشام له مدى الحياة ؛ فإذا لم يقبل ذلك فى خلال عشرة أيام ،  
 أعطى مصر وحدها ؛ وإذا رفض بعد ذلك ضربت الدول الأربع الحصار عليه ؛  
 فإذا زحف على الآستانة اشتركت الدول فى مساعدة السلطان على الدفاع عنها .



## الفصل الثامن عشر

### الخاتمة

نار تبير عند ماسمع بهذا الاتفاق لأنه رآه ماسا بكرامته . لقد كان هذا الرجل الصغير الجسم الكبير الرأس وضع الأصل كبير المطامع في الهيئة الاجتماعية ؛ وبعبارة أخرى كان هذا الرجل يدفع بنفسه إلى الأمام على الدوام ، وكان في الوقت عينه شديد الحساسية . لكن الوطنية كانت أهم صفاته ؛ وكان هو السياسي الذي تملأه فعلة بالمرستون غيظاً وحقداً . كيف لا وقد أهدت فرنسا في هذا الاتفاق الإهمال كله ، وعمملت كأنها لا وجود لها بين الدول ؟ ورأى فيه تبير سعياً تقصد به أوروبا إخراج بلاده من حلبة السياسة الدولية ، ومكيدة يبغى بها بالمرستون الوقعة بينه وبين مليكه .

أما بالمرستون فلم يقصر جهوده على هذه المكيدة الدبلوماسية ؛ لأنه لم يكن ممن يتقنون فن الخاتلة والمواربة ، بل كان يتزعم أولئك الذين يعالجون الأمور بالبطش والصيد . وقد يكون أكثر انطباقاً عليه قول الأمريكيين : « إنه يحمل المطرقة على كتفه » . وسواء صدق عليه هذا القول أو لم يصدق ، فإنه كان رجل كفاح وجلاد . ويحسن بنا أن نشير إلى أن لقب أسرته مشتق من إمارة إرلاندية . ولربما كانت أكبر صلات أسرته بتلك الجزيرة « لا تتعدى تفضلها بتزيين ثبّت نبلاتها والتمتع بإيرادها » <sup>(١)</sup> ، ولكنه كان ميالاً بغريزته إلى

(١) جودلا في كتابه السالف الذكر ص ٢١ .

ما طبع عليه الإيرلنديون من حب الحرب للحرب . وما كاد يوقن أن تيير قد سلك في رأيه مسلك الأنانية ، حتى أصدر أوامره إلى ينسنبى السفير البريطانى فى الآستانة أن يثير نفع الفتنة على محمد على . ومعنى هذا أن كل ما عمله إبراهيم لخير الشام يجب أن تنهار دعائمه ، وأن توقد نار الفتنة فى البلاد التى أخذت تسلك سبيل الرخاء ، لأن فرنسا وإنجلترا عالت كاتهما الأخرى بعدائها السياسى . وأرسل أسطول بريطانى إلى شواطئ الشام لتجريض أهلها على الثورة ، وإمدادهم بالسلاح وتوزيع المال على زعمائهم . وقد كشف القناع عن هذه الحقيقة المؤرخ الإنجليزى ددول ، الذى طالما ذكرنا اسمه فى هذا الكتاب ، فقال بعبارة صريحة موجزة : « وفى ١١ سبتمبر سنة ١٨٤٠ أنزلت قوة من البحارة البريطانيين والجنود الأتراك إلى شاطئ بلاد الشام بقرب بيروت بعد أن ظلت تلك البلاد عدة شهور مسرحا للقلق والاضطراب ، يثير فيها نفع الفتنة رسل الأتراك »<sup>(١)</sup> .

وهنا يجدر بنا أن نقول إن التاريخ الذى ذكره ددول مضال بعض التفاصيل ؛ فقد يخيل إلى من يطلع عليه أن نحو شهرين قد انقضا بين اتفاق لندن ( ١٥ يوليه ) وهذا العمل العدائى الذى قام به الإنجليز ( ١١ سبتمبر ) ، فيظن أن پامرستون وقف لا يبدى حرا كما خمسة وخمسين يوما كاملة ، مع أن له لقباً إيرلنديا ومزاجا إيرلنديا ، ومع أن الدسائس الفرنسية ودعاوى تيير وصخبه قد تكون دفعته إلى العمل دفعا . لسكننا نرى فيما نشر من سجلات القنصلية اليونانية بالإسكندرية أن عدداً من البوارج الحربية البريطانية ظهرت أمام شاطئ الشام قبل اليوم السادس عشر من شهر يوليه<sup>(٢)</sup> . نعم إن وجودها لا يفهم منه بالضرورة أن

(١) ددول فى كتابه السالف الذكر ص ١٨٩

(٢) پوليتس فى كتابه السالف الذكر ص ١١٢ .

مقاصدها كانت عدائية ، ولكن انظر إلى هذه الرسالة الأخرى المؤرخة ٢٦ يوليه  
تر فيها ما يأتي :

« لا تزال الأنباء ترد إلى الحكومة ( حكومة محمد علي ) مبشرة بالنجاح في  
قمع الثورة السورية ، وإن كانت الأخبار الخاصة تدل على أن الثوار لا يزالون  
يقاومون في بعض الجهات حيث يشجعهم على المقاومة مرأى البوارج الحربية  
البريطانية <sup>(١)</sup> » .

وفي اليوم السادس عشر من سبتمبر أرسل القنصل اليوناني العام إلى أثينا  
تقريراً بهذا المعنى :

« وصلتني في العشرة الأيام الماضية أنباء عن الحصار الشديد المضروب على  
شواطئ الشام من غير إعلان سابق . وقد تالقت الحكومة أخباراً بطريق البر  
خلاصتها أن الإنجليز شرعوا يقومون بأعمال عدائية أخرى ؛ منها أنهم أنزلوا إلى البر  
بجوار بيروت نحو ثلاثة آلاف من الألبانيين بعد أن وصل إليها الأسطول العثماني ؛  
ثم أطلقوا المدافع على المعسكر وعلى حائوت خل قريب من الشاطئ . وقد أنزل  
هؤلاء الجنود في موضع يستطيع أن ينزل فيه غيرهم إذا دعت الضرورة . والإنجليز  
والأتراك يستخدمون كل الوسائل التي توصاهم إلى غايتهم ، فقد وعدوا سامان  
باشا بأن تكون حكومة قبرص له ولذريته من بعده ، كما وعدوا محموداً بك  
بياشوية طرابلس ، وبتعيينه حاكماً على بيروت إلى غير ذلك من الوعود .  
أما إبراهيم باشا فهو الآن في بيروت ، وقد جاء إليها على رأس جنوده تاركاً ابنه  
البالغ من العمر اثني عشر ربيعاً في رعاية أربعة من أشهر قواده » .  
وأضيفت إلى هذا التقرير حاشية تقول :

(١) المصدر عينه ص ١١٣ .

« قد بلغتنا الآن أنباء أكيدة بأن سوريا لم تنزل فيها جنود ، وأن كل ما حدث هو ضربها بالمدافع<sup>(١)</sup> » .

ويلوح بعد ذلك أن القنصل العام تمززا Tossizza ترك شهراً كاملاً يمر من غير أن يبعث إلى وزارة الخارجية برسائل أخرى ؛ ثم استيقظ من سباته في السادس عشر من شهر أكتوبر سنة ١٨٤٠ وكتب إلى حكومته يقول :

« ستجدون مع هذا صوراً من ثلاث وثائق خاصة بمحصر شواطئ مصر والشام . ويجدر بي أن أضيف من عندي أن المذكرة المحتوية على إعلان الحصار أرسلت في قوارب صغيرة من قوارب الأسطول المحاصر . وتاريخ هذه المذكرة مكتوب على المظاريف المعنونة إلى الحكومة والقنصليات ؛ ولكن الوالي لم يكن في الإسكندرية عند وصول هذه المذكرات ، فلم يسألها الرؤساء المحليون إلى أربابها ، ولذلك لم تصل إلى القنصليات إلا في اليوم العاشر من شهر أكتوبر<sup>(٢)</sup> .

وبعد فقد كان محمد علي سابقاً للعصر الذي يعيش فيه بقرن من الزمان . والدليل على ذلك أن الرئيس ولسن — أوله لويد جورج Lloyd George أولورد نورثكلف Lord Northcliffe — اخترع في عام ١٩١٨ تلك العبارة الخادعة ، وهي أن الحلفاء لا يحاربون ألمانيا بل يحاربون العسكرية ، ولا يقاتلون الشعب الألماني وإنما يقاتلون آل هوهنزولرن Hohenzollerns . وهذه العبارة قد اختلسها قائلها من شكوى محمد علي الصاخبة . فبينما كانت الجنود البريطانية تضرب مدن الشام بمدافعها ، والبنادق البريطانية توزع على العصاة الثائرين من أهل الشام ، والأموال البريطانية توجب نار الوطنية في قلوب الزعماء السوريين ،

(١) المصدر عينه ص ١١٥ .

(٢) المصدر عينه في نفس الموضع .

في هذا الوقت قال محمد علي : « أنا لا أحارب إنجلترا بل أحارب اللورد پلمرستون »  
ويؤكد الألمان أن الرئيس ولسن — أولعله لويد جورج أو اللورد نورثكاف —  
لم يكن جادا حينما دوت في المشرقين صرخته الشهيرة « الصلح مع الألمان والحرب  
مع القيصر » ، ولكن محمداً علياً كان من غير شك صادقا في قوله لأنه « لم يكنه  
أن يسمح للبريد البريطاني بالمرور في بلاده ، بل اتخذ وسائل خاصة لحماية  
المسافرين ( البريطانيين ) أثناء اجتيازهم طريق السويس »<sup>(١)</sup> .

وبينا كان محمد علي يبرهن على كرمه وتسامحه ، كان ولده إبراهيم يقاسى  
الشدائد والأهوال . ويقول ددول في ذلك إن « جيشه قد تبدد وضعف ،  
ونفدت أرزاقه وذخيرته ؛ وما وافى شهر أكتوبر حتى ثار عليه الدروز .  
وفي العاشر من ذلك الشهر التقى الكومودور ناپيير بإبراهيم نفسه على رأس قوة  
صغيرة من رجاله عند بيت حنس<sup>(٢)</sup> ، وهزمه وأخذ منه رايته . وفي الرابع من  
نوفمبر سلمت عكا التي صدت هجمات إبراهيم ستة شهور كاملة ، ولم تطلق عليها  
نيران المدافع إلا يوما واحدا . وهكذا تضعف ركن القوات المصرية في بلاد الشام  
وفُت في عضدها »<sup>(٣)</sup> .

تلك صورة صادقة لما وصلت إليه الحال في ذلك الوقت . وماذا يفعل إبراهيم  
والأتراك يكيدون له لأن حكمه هو حكم الحضارة والرقى ؛ والمسيحيون الأرثوذكس  
يحاربونه لأن حكمه ينذر بالقضاء على حقوقهم التقليدية المكتسبة ، فيحرمهم من  
الأرباح الطائلة التي يجنونها في الحروب ؛ والمسلمون يقاومونه لأنه يؤمن بالحرية

(١) ددول في كتابه السالف الذكر ص ١٨٩ .

(٢) أكبر ظننا أنه يقصد خان بحنس وهو المكان الذي تلاقيا فيه ولم نثر على مكان  
باسم بيت حنس في جميع المصادر العربية أو التركية التي راجعناها ولا في كتاب ناپيير نفسه .

(٣) المصدر عينه في نفس الموضع .

الدينية والمساواة أمام القانون ؛ والدروز قأمون عليه لأن المارونيين الكاثوليك انضوا تحت لوائه في أول الأمر ؛ وإنجلترا اتصلت سيف الفتنة وتمد العصاة بالمال ، وتشجع الفوضى بضرب الحصار على شواطئ الشام ، وإطلاق القنابل على إحدى نقط البلاد الحربية ؟ ولو أن إبراهيم لم يكثر بذلك كله وأراق دم جنوده من غير جدوى لكان عمله هو الخرق بعينه .

كذلك لم يكن إبراهيم جباناً — لقد كان له كما كان لربرت . ١ . إلى الفرجينى Robert E. Lee of Virginia سجلاً حافلاً بالأعمال المجيدة يدفع به عن نفسه هذه التهمة . لقد استسلم لي Lee لجرانت Grant<sup>(١)</sup> في أبوماتكس Appomattox حين أيقن أنه وإن استطاع أن يواصل القتال ليس في مقدوره أن يمحو ما خط له في لوح القضاء ؛ وأبى أن يتولى قيادة حرب العصابات ، وفضل أن يخضع حين رأى أن لا بد من الخضوع ، وتجرع القصة بصبر وجلد يشرفه ويرفع من قدره . وكذلك فعل إبراهيم في هذا الموقف .

لقد كانت إنجلترا وفرنسا تتحاربان وإن كانت لندن وباريس لا تفتضيان السلاح . وكان بالمستون يعتقد خطأً أن تيير لا يزيد على أنه صحنى من الطراز الثانى بين الصحفيين ، مغتر بنفسه مخائل خداع ، قد استحال سياسياً وتزياً بزي رجال الحكم . فأجمع رأيهم على أن يضرب هذا القزم ضربة تطأطئ من إشرافه ، فصب جام غضبه على أعمال مصر فى الشام .

وكان إبراهيم رجلاً قوى الإيمان بقضاء الله وقدره ، ورأى أن لا مفر مما قضى الله به ؛ ولكنه مع ذلك لم يتخل عن أمانته ، بل وقف شاكياً سلاحه

(١) جرانت من قواد جيوش الولايات العمالية ، ولى من قواد الجيوش الجنوبية فى الحرب الأهلية الأمريكية .  
(المغرب)

حتى استدعاه في التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٤٠ أبوه الذي يحبه حبا لا يشعر به إلا من كان في مثل قوته . وبينما كان النبيل الإيرلندي يستعد للكفاح ويوجه ضرباته إلى تيير في شخص إبراهيم ، كان رئيس الوزارة الفرنسية يتودد سفينة الدولة في برلمان مضطرب صاحب . وكان من أحب الأشياء إلى لوى فليب أن يوسع نطاق مصالح فرنسا في مصر ؛ ولكنه كان قد عقد النية على أن لا ينساق إلى الحرب . وقد قال ألسن Allison في هذا : « لقد سمح لتيير أن يواصل استعداداته الحربية ، ولكنه أسر إلى سانت أولير Saint Aulaire حين أتاه بعد حديث طويل مع رئيس الوزراء » إن معلوماتك هذه صحيحة يا سفيرى العزيز ، وإن حديثك الرسمى ليس كمثل حديث ؛ ولكننى أحب أن أقول لك بصفة خاصة إننى إن أسمح لنفسى بأن أندفع وراء وزيرى الضئيل ، إلا إلى حد محدود . وثمة أمر واحد على الأقل لا أتفق معه عليه ، ذلك أنه يريد الحرب وأنا لا أريدها ؛ وإذا سدت أمامى كل السبل فضلت أن أقطع ما بينى وبينه ، على أن أقطع ما بينى وبينك »<sup>(١)</sup> .

لقد كان موقف تيير محفوفاً بأشد المخاطر . كيف لا ومليكه يكيد له ، والوزارات الفرنسية على الدوام مزعزعة غير مستقرة ، وپلرستون لم يترك له إلا واحدة من ثلاث : فإما أن يحارب وإما أن يستقيل وإما أن يخرج مرغماً ؟ وكان هو لا يرغب في الحرب ، وإنما كان يخادع ويخاتل . وبينما هو يسعى ليخدع الناس ولا يخدع إلا نفسه ، كان پلرستون جادا غير هازل فيما يفعل . وأيقن بذلك البرلمان الفرنسى والملك ؛ فلما انقضى شهر أكتوبر من عام ١٨٤٠ وأخذ إبراهيم يحنى ثمار ما زرعه تيير ، سقطت الوزارة الفرنسية التى كان

(١) ألسن في كتابه السالف الذكر ص ٢٨٥ .

خطؤها ونجيجها سبباً في خروج الشام من يد المصريين .  
 وإذا كان إبراهيم قد دفعته إلى الحرب شقشقة لسان رجل فرنسي ، فإن  
 شذوذ رجل إنجليزي قد عبث بشروط الصلح عبثاً مقطوع النظر . وكان  
 الأسطول البريطاني المحاصر لسواحل الشام تحت قيادة أمير البحر استيفورد  
 Admiral Stopford ؛ وكان نائب القائد الكومودور نايير Commodore  
 Napier (السير تشارلس فيما بعد) ، الذي أظهر براعته في قيادة الفرقة المهاجمة  
 على صيدا في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٤٠ . وقد تلقى نايير في ١٥ نوفمبر أمراً بأن  
 يقود عمارة قوية ويظهر بها تجاه الإسكندرية . ووصفته دائرة المعارف  
 البريطانية بأنه « كان رجلاً جماً النشاط ، جرىء الصدر ، كثير الشذوذ والكبرياء » .  
 ولكن المهجوم على الإسكندرية لم يكن يحتاج إلى شيء من نشاطه أو جرأته ،  
 لأن محمداً علياً قد أوتي من العقل وبعد النظر ما يمنعه عن الوقوف في وجه  
 الأسطول البريطاني . غير أن المهمة التي كلف بها نايير كانت تحتاج إلى ضابط  
 ليس من صفاته الشذوذ أو الكبرياء . وبذلك كان عمله في ميناء الإسكندرية  
 في غير حاجة إلى فضائله ، وكانت عيوبه هي العيوب التي لا بد منها لزيادة المسألة  
 تعقيداً فوق تعقيدها . وقد أفسدت هذه العيوب ما كان يرجى منه من خير ،  
 حتى قالت فيه دائرة المعارف البريطانية : « إنه أغضب كثيراً من زملائه الضباط  
 بمسلكه مع رئيسه أمير البحر استيفورد في حروب الشام ، وتورط طوال حياته  
 في نزاع مع وزارة البحرية » <sup>(١)</sup> .

ووصل نايير إلى الإسكندرية في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٤٠ . واسمنا ندرى

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة الثالثة عشرة الجزء التاسع عشر ص ١٦٩ تحت  
 عنوان نايير ، السير تشارلس .



وهذه الرسالة القنصلية اليونانية ، التي تؤكد لنا أن لاركنج القنصل البريطاني العام كان هو الوسيط بين نايبير ومحمد علي ، تضيف إلى ما سبق أن الكومودور عرض على محمد علي أنه إذا قبل المقترحات التي أبلغتها إليه الدول في ١٥ يولييه ، والتي لا يشك في أنها لا تزال معروضة عليه ، فإنه يستطيع بانتهاز هذه الفرصة السانحة له أن يقضى على ويلات الحرب وأهوالها .

وفي اليوم السادس والعشرين من شهر أكتوبر أرسل القنصل العام توسزا إلى حكومة أثينا رسالة يقول فيها إن قائد العمارة البريطانية أبلغ هيئة القناصل أن حصار الإسكندرية قد أجل رسميا إلى اليوم العشرين من شهر نوفمبر<sup>(١)</sup> . وفي العاشر من ديسمبر وصلت الأنباء إلى الإسكندرية بأن الباب العالي أبلغ القنصليات في ٢ ديسمبر أن حصار الموانئ السورية قد رفع عنها<sup>(٢)</sup> . ويظهر أن هذه الخطوات لم تقنع محمداً عليا وحده ، بل أقنعت معه القنصل اليوناني العام ، بأن السلم قد أصبح قاب قوسين منه ، وأن نايبير هو الروح المسير لهذه الحركات . ولكن الأمور تغيرت فجأة في اليوم السادس عشر من ديسمبر ، إذ يلوح أن الإسكندرية — ونعني بالإسكندرية محمداً عليا وهيئة القناصل — علمت لأول مرة أن أمير البحر استيفورد « ألغى اتفاق نايبير . . . . » وكتب إلى الباشا في ٦ ديسمبر يشير عليه بأن يقبل المقترحات التي ستبلغها إليه الدول المتحالفة بصفة رسمية ، عملاً بالقواعد الواردة في الخطاب المرسل من اللورد پلمرستون إلى وزارة البحرية في ١٤ نوفمبر<sup>(٣)</sup> .

(١) بوليتس في كتابه السالف الذكر ص ١٢١ .

(٢) المصدر عينه ص ١٢٣ .

(٣) المصدر عينه ص ١٢٤ .

وتوضح السطور الأخيرة من هذا التقرير مقدار الصعاب التي أوجدها هذا التحول الفجائي في سير الأمور . ثم بقي تسرا ثلاثة أسابيع لا يشير فيها إلى نايبير ولا إلى استيفورد ، حتى إذا كان اليوم الثامن عشر من يناير سنة ١٨٤١ أبلغ وزارة خارجيته أن :

« سفينة وصلت من مرمرس<sup>(١)</sup> أو مرزا تقل نايبير ، وتحمل خطابات من استيفورد إلى محمد علي ، تؤكد أن حكم مصر سيكون له ولذريته من بعده ، ولكن دون أن تضمن إنجلترا ذلك . وليس ثمة شك في أن بعثة نايبير لم يكن يقصد منها إلا أن تحمل الوالي على الخضوع إلى السلطان ، وأن تنفذ ما تم عليه الاتفاق . فما كان جواب محمد علي إلا أن قبل كل شيء دون تردد ؛ وأرسل من فوره إحدى بواخره إلى الشام تحمل الأوامر بالجلاء عن تلك البلاد<sup>(٢)</sup> »

ويقول لنا هذا المصدر عينه إن إبراهيم وصل إلى القاهرة قبل اليوم السادس من مارس سنة ١٨٤١ ببضعة أيام ، وإن الخط الشريف الرسمي الذي يعلن انتهاء الحرب أذيع في اليوم العاشر من شهر يونيه<sup>(٣)</sup> . وقد أبدى القنصل العام عندما نقل هذا الخبر الأخير الملاحظة الآتية :

« والآن نستطيع أن تؤكد تأكيذا لا أثر للشك فيه أن المشاكل التركية المصرية قد أسدل عليها الستار نهائيا<sup>(٤)</sup> » . لكن هذه المشكلة المعقدة لم تختتم هذه الخاتمة السعيدة بالسرعة التي قد يستنتجها الإنسان من هذه الوثائق الرسمية . فددول مثلا يقول إن العالم الدبلوماسي في الآستانة ذهل حين عرف أن محمداً علياً

(١) اسم هذا الثغر مرمريس وهو ثغر صغير في جنوب الأناضول تجاه جزيرة رودس . (المغرب)

(٢) المصدر عينه ص ١٣٠ .

(٣) المصدر عينه ص ١٣٣ .

(٤) المصدر عينه ص ١٣٤ .

أصدر أمره إلى إبراهيم في التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٤٠ بالجلاء عن الشام ؛ وذلك لأن السفراء لم يكونوا يعلمون شيئاً مما فعله نابيير ، فلم يستطيعوا أن يدركوا سبب إقدام الباشا على اتخاذ هذا القرار الخطير غير المفهوم في الظاهر .

وقد قال هُدجس Hodges في ذلك قولاً أطرَح فيه وقاره القنصلي : « لقد أثار نابيير زوبعة هوجاء بين أعضاء الهيئة الدبلوماسية »<sup>(١)</sup> .

ولكن يلوح أن جنون الكومودور الذي تقول عنه دائرة المعارف البريطانية إنه كان « شاذاً متكبراً » كان جنوناً منظماً . ذلك أنه علم أن بلمرستون والوزارة البريطانية قد تراجعا في العاشر من شهر أكتوبر سنة ١٨٤٠ عن الموقف المتطرف الذي وقفاه في ١٥ يولية سنة ١٨٤٠ ، والذي أشرنا إليه في آخر الفصل السابق ، واختطاً خطة أخرى راعيا فيها شعور الفرنسيين . وربما أرادا بها أيضاً أن يسهلا على لوى فليب إسقاط تيير . ومن أجل هذا اتفقا على أن يشيرا بإعطاء محمد علي باشوية مصر له ولأولاده ، على شريطة أن يبادر إلى سحب جنوده من الولايات العثمانية الأخرى ، وأن يرد الأسطول العثماني<sup>(٢)</sup> .

ولما كان من واجبات البحار أن يدرس التيارات البحرية والمد والجزر وحركات الماء في البحار ، وأن يراقب البارومتر ويعرف مهاب الرياح فقد طبق الكومودور نابيير هذه المبادئ على تجاربه في السياسة العليا ، فهداه ذلك إلى أن بلمرستون والوزارة البريطانية كانا يعملان لاسترضاء محمد علي ؛ ولذلك حول اتجاهه إلى هذه الناحية . أما الدبلوماسيون الرسميون فإنهم يعيشون في جو أرق من الجو الذي يعيش فيه الملاحون ، ويرون أنهم لا يستطيعون أن يدرسوا

(١) ددول في كتابه السالف الذكر ص ١٩٠ .

(٢) تعليمات وزارة الخارجية لبلنسي في ١٥ أكتوبر سنة ١٨٤٠ (وزارة الخارجية

٧٨ — ٣٩٠) متقولة عن ددول في كتابه السالف الذكر ص ١٩٠ .

سير التيارات والمد والجزر وحركات الماء في البحار ، إلا إذا نزلوا من سماء عليائهم ونكسوا أبصارهم ؛ ويرون أن دراسة البارومتر أمر لا يفعله إلا عامة الناس ، فهو إذاً يحط من منزلتهم الرفيعة ؛ وأن مراقبة اتجاه الرياح لا تحتاج إلا إلى شيء من العقل العادي والذوق العام ، وهو ما يمتقونه أشد المقت . ومن أجل هذا حدث أنه بينما كان نابيير يعرف ما يدبره بالمرستون ومجلس الوزراء الإنجليزى ، ويسعى للوصول إلى النتيجة المطلوبة بطريق ملتو غير سليم ، كان ينسبى السفير البريطانى في الآستانة يفضل الخطط المنتظمة على النتائج ، ويهتم بالتقاليد والراسيم أكثر مما يهتم بالسلم ، ومن أجل هذا تقرأ عنه في كتاب « منشئ مصر الحديثة » ما يأتى :

« وما كاد نص الاتفاق الذى عقده نابيير يصل إلى لندن حتى أقرته على الفور ، وإن كانت مخاوف ينسبى ظلت تخترع العقبات لتقييمها في سبيل التسوية التامة . من ذلك أنه حمل الباب العالى على أن يصدر فرمانا — هو الخط الشريف الهمايونى المؤرخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ — يحتوى على عدة قيود شديدة الوطأة رفضها محمد على عملاً بنصيحة نابيير . ثم أخذ بالمرستون ومترنيخ ياحان في تعديل الاتفاق حتى تم لهما ذلك ، وصدر بالتعديل فرمان جديد في أول يونيه يعترف فيه بحق وراثه عرش مصر للأكبر فالأكبر من سلالة محمد على المذكور . ثم حدد هذا فرمان جزية الباب العالى بثمانين ألف كيس سنوياً ( ٤٠٠٠٠٠ جنيه ) ، وحدد عدد الجيش المصرى بثمانية عشر ألف جندى إلا إذا وقعت الحرب أو صدر بزيادته تصريح خاص ، وحرّم على مصر أن تنشى سفناً حربية »<sup>(١)</sup> .

(١) ددول في كتابه السالف الذكر ص ١٩٠ .

وبذلك كسبت مصر بفضل حكمة محمد علي وسيف إبراهيم ما يعده كثير من المؤرخين استقلالاً حقيقياً . فقد أصبح لها حق التصرف في كثير من شؤونها ، واعترف لها بمبدأ وراثته عرشها ؛ لكنها لم تحصل على الأملاك الواسعة التي لاح في وقت من الأوقات أن رايتها سوف تحقق عليها ؛ وذلك لأن أوروبا حرمتها ما كانت تركيا ستترغم على التسليم به لها .

وبعد أن استقر السلم في نصابه عاد إبراهيم كما عاد سنسناتس إلى محراثه<sup>(١)</sup> . وقد أبلغ تسراً ذلك إلى حكومته في ٦ أكتوبر سنة ١٨٤٢<sup>(٢)</sup> . وكان قد أبلغ أثينا في رسائله السابقة أن « الحالة هادئة » ، وأن الشخصيات البارزة من رجال مصر العسكريين والسياسيين جميعهم ، إلا قليلاً منهم ، قد حولوا جهودهم إلى مزارعهم<sup>(٣)</sup> ، وظل الهدوء شاملاً والأمور سائرة على أذلالها ، حتى وافى اليوم السابع والعشرون من شهر يولييه سنة ١٨٤٤ ، وإذا بالقنصل اليوناني العام يشعر بالحاجة إلى إرسال التقرير الآتي إلى وزارة خارجيته :

« لما كانت باخرة البريد لم تستطع أن تسافر لأن حادثاً غريباً حدث للوالى ، فإن الواجب يقضى على أن أضيف إلى ما كتبت من قبل أن سموه غادر هذا البلد (الإسكندرية) في هذا الصباح ، وأعلن أنه ذاهب إلى مكة . ولم يكن أحد من خاصته أو موظفيه على رصيف الميناء ، لأنه أعلن أنه لا يجب أن يرى أو يسمع أحداً . ولم يستصحب معه إلا صيدليه وعدداً قليلاً من خدمه .

(١) سنسناتس قائد روماني عظيم اشتهر بالبساطة والتشف . اختبر مرتين حاكماً مطلقاً لرومة ولما جاءه الرسل بشارات منصبه وجدوه في حقله سائراً وراء محراثه . وبعد أن تم له النصر على أعداء رومة تخلى عن سلطته وعاد مرة أخرى إلى حقله قائماً بحياة الزارع المتشف .  
(المعرب)

(٢) بولينس في كتابه السالف الذكر ص ١٤٢ .

(٣) المصدر عينه ص ١٤٤ .

ونزل المركب دون أن يسلم على أحد ، ولكنه عاد فسلم بعد أن تحركت السفينة . وقد كتب السفير الفرنسى إلى نظارة الخارجية بالأمس يستفسر عن حقيقة الحال ، فبعث الناظر بالخطاب إلى الوالى يسأل عما يجيب به . فقال له سموه : « اكتب أى جواب شئت ، لأن الأمور مضطربة » . ويعزو معظم الناس هذه الحال إلى نوع من الخبل أصاب الوالى ؛ والبلد كله فى هرج ومرج <sup>(١)</sup> . وبدل التقرير الثانى الذى أرسله بعد ستة أيام من هذا التاريخ على أن الواجب على الإنسان ألا يهتاج إذا نشرت الصحف اليومية أخباراً مثيرة . نقول هذا لأن تسرا بعد أن أرسل إلى وزيره هذه الرسالة المزعجة ، كتب إليه يقول إن محمداً علياً سافر إلى القاهرة بعد أن عدل عن رحلته إلى مكة ، « وإننا تلقينا أخباراً موثوقاً بصحتها تنبئ بأن سموه يتمتع بأحسن صحة ، وأن مرضه قد زال ، وأنه الآن فى غاية الهدوء ويظهر منتهى اللطف والبشاشة » <sup>(٢)</sup> .

وإذا كان القنصل اليونانى العام قد تسرع فى إخبار أثينا أن محمداً علياً اضطربت قواه العقلية ، فإنه كان شديد الحذر من الوقوع فى غلطة أخرى من نوعها ؛ ولذلك خلت المحفوظات اليونانية من كل ما يشير إلى أنه أبلغ وزارة خارجيته أن إبراهيم قد حل به المرض . طلى أننا نجد فى كتاب « سليمان باشا » لفترنييه Vingtrinier أن القائد أصيب فى سبتمبر سنة ١٨٤٥ بنزلة معوية حادة ، اضطرتة إلى أن يسافر إلى سان جيتانو San Guitano بجوار بيزا Pisa ليستطب فيها . ولما لم تغده مياهها سافر منها إلى فرنيه Vernet فى جبال البرانس <sup>(٣)</sup> .

(١) المصدر عينه ص ١٤٨ .

(٢) المصدر عينه ص ١٤٩ .

(٣) فترنييه فى كتابه السالف الذكر ص ٤٥٧ .

ويلوح أن هذه المدينة قد أفادته أكثر مما أفادته سابقتها ، لأنه هو وساميان باشا زارا فيما بعد باريس ولندن وتمتعا فيهما كثيراً ، ثم عاد الباشا إلى الإسكندرية في ٨ أغسطس سنة ١٨٤٦ في أحسن صحة <sup>(١)</sup> .

ثم مرت الشهور حتى حل اليوم الخامس من فبراير سنة ١٨٤٨ ، فأبلغ القنصل اليوناني العام حكومته « أن الوالى لا تزال حالته خطيرة ، وأن اللجنة الطبية لهذا السبب قد أشارت بوجوب سفره إلى أوروبا مراعاة لصحته <sup>(٢)</sup> » . وكان تسزا في هذه المرة حريصاً كل الحرص على أن لا يبدي رأياً من عنده في ماهية المرض ولا في أعراضه . ونرى هذا الحرص ظاهراً أجلى ظهور في رسالة موجزة مرسله من الإسكندرية في ١٣ سبتمبر سنة ١٨٤٨ ، أى بعد سبعة أشهر من الرسالة السابقة ولم يرد فيها إلا قوله : « عاد إبراهيم باشا إلى هنا في يوم السبت الماضى العاشر من هذا الشهر على نفس السفينة ذات السطحين التى سافر عليها من قبل . وفى اليوم الثانى غادر هذه المدينة إلى القاهرة ليتسلم زمام الحكم ، لأن الأوامر السلطانية العليا أحلتها فى مكان أبيه . ومعه هادئة كل الهدوء ، والأمور سائرة سيرها العادى ، يسودها النظام والأمن اللذين لا تشوبهما شائبة قط <sup>(٣)</sup> » . وفى اليوم السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٤٨ كتب تسزا يقول إنه قد أذيع فرمان رسمى فى الثانى والعشرين من سبتمبر يعان تولية إبراهيم على مصر . ولم يشر هذا التقرير إلى سبب تولية إبراهيم بدل محمد على ، ولكنه يقول بعد العبارة السابقة « لا نستطيع أن نقول إن صحة إبراهيم جيدة <sup>(٤)</sup> » .

(١) بوليتس فى كتابه السالف الذكر ص ١٦١ .

(٢) المصدر عينه ص ١٦٧ .

(٣) المصدر عينه ص ١٧٢ .

(٤) المصدر عينه ص ١٧٣ .

ثم أكدت رسالة أخرى مؤرخة ٣٠ سبتمبر نبأ تولية إبراهيم ، ولم تذكر سبب إحلاله محل أبيه ، وقالت إن صحة الوالى الجديد تتحسن يوماً وتساء يوماً آخر ؛ وذلك لأنه يشكو « من مرض حاد مزمن »<sup>(١)</sup> .

وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٨٤٨ أبلغت أثينا أن صحة إبراهيم فى خطر شديد<sup>(٢)</sup> . وفى اليوم السابع من نوفمبر أبلغت أن حالته تحسنت نوعاً ما ، ولكنه لم يتعد دائرة الخطر<sup>(٣)</sup> . وانتقل إبراهيم إلى الدار الآخرة فى اليوم العاشر من نوفمبر سنة ١٨٤٨ فى الساعة الواحدة صباحاً وهو فى التاسعة والخمسين من عمره ، وخلفه على عرش مصر عباس باشا ابن طوسن وخفيد محمد على<sup>(٤)</sup> . ومن أغرب ما كتب عن إبراهيم ما قاله ديسى فى كتابه « قصة الخديوية » :

« لقد كان إبراهيم أقدر الناس على تنفيذ سياسة محمد على ؛ ولكنه قبل موته كانت تنتابه اضطرابات عقلية ؛ وقد أصيب بالأرق حتى أصبح لا يستطيع النوم كما أخبر هو عن نفسه ، لأنه كان يرى فى أحلامه أشباح القتلى الذين أزهق أرواحهم »<sup>(٥)</sup> .

على أننا لم نعثر على ما يثبت أن إبراهيم قد اختلت قواه العقلية . وتقول السجلات الروسية بعريخ العبارة إنه مات بعلّة صدرية ، ولا تشير أية إشارة إلى اضطرابات عقلية<sup>(٦)</sup> . وفوق ذلك فإننا نعلم أنه لما تقدم محمد على فى السن خارت

(١) المصدر عينه ص ١٧٤ .

(٢) المصدر عينه ص ١٧٥ .

(٣) المصدر عينه ص ١٧٦ .

(٤) المصدر عينه فى صفحة ١٧٦ .

(٥) قصة الخديوية تأليف إدورد ديسى طبعة رثنجتن بلندن سنة ١٩٠٢ ص ١٣ .

(٦) لقد تفضل رنيه قطاوى بك فأذن لنا بأن نقل هذا من تقرير لم ينشر بعد مؤرخ

١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ .



قواه العقلية ، وجلس إبراهيم على العرش مكانه ؛ وبعيد جداً أن يختار الباب العالى رجلاً مختل القوى العقلية ليخلف آخر مثله . ولهذا فأكبر ظننا أن ديسى قد اختلط عليه أمر الوالد والولد . وليس ثمة ما يدعو إبراهيم إلى الخوف من أشباح الموتى ، لأنه فى كل ما فعل كان يؤدى واجبه كما يمتدده هو . وفوق هذا فإن ضماير المجرمين الذين تحجرت قلوبهم قلما تنقص عليهم منامهم . ولدينا من التقارير ما يدل على أن شر أنواع المجرمين ينامون نوماً هادئاً مطمئناً أثناء مقامهم فى غياهب السجون ، بل وقبيل تنفيذ حكم الإعدام فيهم .

وفى اليوم السابع من أغسطس سنة ١٨٤٩ أبلغت القنصلية اليونانية العامة أثينا نبأ وفاة « محمد على البشوش الكدود » فى منتصف الساعة الثانية عشرة من صباح اليوم الثانى من شهر أغسطس سنة ١٨٤٩<sup>(١)</sup> . وكان عند وفاته فى التاسعة والسبعين من عمره أى أكبر من ابنه العظيم بعشرين عاماً .

وتوفى إبراهيم ومحمد على بعد أن بلغا الذروة ؛ وبعد أن ترك محمد على أثره فى تاريخ العالم . لقد عمر طويلاً وحفل حكمه بالحوادث الجسام ، وتنتهى الدهر مرتبه ، وناءت قواه العقلية بالعبء الشديد الذى ألقى عليها . وقد ولد له ثمانية وثلاثون طفلاً لم يعش بعده منهم إلا خمسة أولاد وبنتان على الأرجح<sup>(٢)</sup> . ومات ولم يتحقق كل ما كانت تنطوى عليه نفسه فى أواسط حكمه من واسع الأمل وعظيم الرجاء . ولم يكن إبراهيم باشا وهو أشد أبنائه إخلاصاً وأكثرهم إجلالاً له ، محارباً فحسب ، بل كانت له شجاعة الجندى ونظرة الحاكم السيامى ؛ عرف فى شبابه بالإقدام والعنف ، فلما كملت قواه لم يستنكف

(١) پوليتس فى كتابه السالف الذكر ص ١٨٦ .

(٢) پريس داثن وآرمن فى كتابهما السالف الذكر ص ٣٦

أن يكون رجلاً محافظاً ، وإن بقي متصفاً بالتسامح في كل ما له علاقة بالحرية الدينية . وبقيننا أنه لومد الله في عمره ، لأخذ بيد بلاده وسار بها في طريق الرخاء . لكن قضى الله أن يسبق أباه إلى الدار الآخرة ، وأن يجلس على العرش وهو معتل الصحة . والآن لا يكاد أحد يعرف عنه شيئاً ، لأنه بلغ من حبه وإخلاصه لوالده أن كان يسره لو محى اسمه من صحف التاريخ ، ولم يبق فيها إلا اسم أبيه .

---

# فهرس الأعلام

استيفورد ( أمير البحر ) : ٢٧٢ ،

٢٧٥ — ٢٧٦

استيفورد ده ردكلف ( لورد ) :

٦٥ — ٦٦ ، ٧٨ — ٧٩ ، ٨٨ — ٨٩ ،

٩٢ — ٩٤ ، ١١٣ — ١١٤ ،

١٢٣ — ١٢٤ ، ١٢٦ — ١٣٥ ،

١٣٦ ، ١٣٧

استرومر ( قون ) : ٦

أسربي : ٩٥ ، ٩٧ — ٩٨

إسماعيل باشا ابن محمد علي : ١٣ ، ١٤ ، ٤٩

إسماعيل باشا ( الحديو ) : ١٧ ، ١٦٩

آكتن — ( اللورد آكتن ) : ٢١٥

إلبا : ٢٣

أليسن ( جون . م . س )

إنجستري ( اللورد ) : ١١٦ — ١١٧

أوليقييه ( الكيتن ) : ١٩٢ — ١٩٣

## ( ب )

باتن ( ١ . ١ ) : ١٦٣ ، ٢٤٣

باركر ( إدورد ب . ب . ) : ١٦

باركر ( جون ) : ١٦ ، ١٣٤

برو — انظر كدلفين وبرو

بانكس ( وليم جون ) : ٣ ، ٧ — ٩

بت ( وليم ) : ٢١٨

بتراس : ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ،

١١٧ ، ١٢٠

برجلي ( ج . ف . الدوق ده ) : ١٨٣ ،

١٩٧

بركهاردت ( جون لويس ) : ٢١ — ٢٣

## ( ١ )

إبراهيم : ١ — ١٧ ، ٢٢ ، ٢٤ — ٣٠ ،

٣٣ — ٤٨ ، ٤٦ ، ٥٥ — ٥٧ ،

٦٧ — ٧١ ، ٨١ — ٨٤ ، ٨٨ ،

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٠ — ١٢٢ ،

١٢٦ — ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ،

١٣٥ — ١٤٤ ، ١٤٦ — ١٤٩ ،

١٥١ — ١٦٤ ، ١٦٥ — ١٦٦ ،

١٦٩ — ١٨١ ، ١٨٤ — ١٨٨ ،

١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ —

٢١٠ ، ٢١٢ — ٢١٣ ، ٢١٦ —

٢٤١ ، ٢٤٣ — ٢٤٨ ، ٢٥٧ ،

٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ — ٢٧١ ،

٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،

٢٨٠ ، ٢٨١ — ٢٨٤

أبردين — إزل : ١٣١ — ١٣٢

أبرو : ١١٠ ، ١١٢ — ١١٣

إيسلانتي ( الكسندر ) : ٥٣

أثرتن ( روي ) : ١٣

أثينا : ٨٤ ، ٨٧

أحمد باشا وزير حرية محمد علي : ٢٢٧

أدم ( السير فردريك ) : ١١٦

أرلندوس : ٦١

أرلوف ( الكونت ) : ٢١١ — ٢١٢

آرمين ( انظر پريس دافن وآرمين )

اسينزيا : ٥٨ ، ٦٣

استانهوب ( السيدة هستر ) : ٢١٧ —

٢٢٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ — ٢٥٨

٢٠٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠ ،  
٢٦٠ ، ٢٦٦ — ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،  
٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ،  
٢٨٠ — ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،  
بويه ( الجنرال ) : ٦٨ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،  
١٥٠  
بيرون ( اللورد ) : ٥٣ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٨  
بيلان ( موقعة ) : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٢

### ( ت )

تارل ( الكيبن أدلف ده تارل ) : ٦٨  
تارل ( ألكيبن پولن ) : ٦٨  
ترپولتزا : ٧٦ ، ٨٠ ، ١٢٨  
تشرش ( السير رتشرد ) : ٧٦ ، ٨٤ ،  
١١٦ — ١١٨  
توحيدية : ١٥  
تورنو : ٦٨  
توسزا ( تيودور ) : ٥٤  
توسزا ( ميخائيل ) : ٢٣٠ — ٢٣١ ،  
٢٦٥ — ٢٦٨ ، ٢٧٥ — ٢٧٧ ،  
٢٧٩ — ٢٨١ ، ٢٨٠ — ٢٨٢  
تيبير ( أدلف ) : ٢٦٢ — ٢٦٣ ، ٢٦٥ —  
٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٧

### ( ج )

الجبرقي ( الشيخ عبد الرحمن ) : ٣ — ٦ ،  
٣٨ ، ٨  
جرمانوس ( رئيس الأساقفة ) : ٥٣  
جسكيه : ٣٩  
جودلا ( فليپ ) : ٦٠ ، ٨٠ — ٨١ ،  
٢٢٥ ، ٢٦٥  
جودن ( الكولونل ) : ٦٨  
جور ( سير جون ) : ١٢٣  
جوردن قائد الفرقاطة : ٧٠

برن ( ن . ) : ٣٧ ، ٩ ، ٨ ، ٧ :  
برنوف ( البارون )  
بروكش أوستن ( الكونت فون ) : ٢٠٢ ،  
٢٢٦  
بريس دافن وآرمن : ٣٨ ، ٥٠ — ٥١ ،  
١٧٦ ، ٢٨٣  
بزوني : ١٣٨  
بشاره ( المعلم ) : ٥٢  
بلانا ( چول ) : ٦  
بلمرستون ( اللورد ) : ١٤ ، ٢١٦ —  
٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٥٥ — ٢٥٨ ،  
٢٦١ — ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،  
٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨  
بليارد ( الجنرال ) : ٦٨  
بمبار ( المسيو ) : ٦٩ ، ١١٩  
بنسني ( اللورد ) : ٢١٠ ، ٢١١ — ٢١٢ ،  
٢٢٢ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ — ٢٥٧ ،  
٢٦٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨  
بوالكت ( البارون ) : ١٩٨ ، ٢٠٢ ،  
٢٠٤ — ٢٠٩  
بوتنيف ( الميوديه بوتنيف ) : ١٨٧ ، ١٩٤  
بوجل ( الكيبن ) : ٦٨  
بورشير ( السيدة ) : ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٦ ،  
١١٤ ، ١١٧ — ١١٦ ، ١٢٠ ،  
١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ،  
١٣٣ — ١٣٤  
بورنج ( جون ) : ٤٣ — ٤٤ ، ٤٦ —  
٤٧ ، ٥٢ — ٥٣ ، ٥٧  
بوغوص بك : ٤٧ ، ١٣٤ ، ١٦٩ ، ٢٠٠ ،  
٢٠١  
بولجريف ( وليم جفرد ) : ٧ ، ٢٧ — ٢٩ ،  
٣٣ — ٣٤ ، ٣٧ — ٣٨ ، ٤١ — ٤٢ ،  
١٤٤ ، ١٤٦ — ١٤٧ ، ١٥٠  
بولتس ( أننازي ) : ٥٤ ، ٢٠٣ —

سبب تأخره في الوصول إليها هذا الزمن الطويل ؛ ولكنه بمجرد وصوله أشعر الحكومة المصرية أن الإسكندرية لا تستطيع رد عاديته ، وأن من السهل أن يصيبها ما أصاب عكا من قبل . ولم يكتف بهذا بل أبلغ تلك الحكومة أنه إذا كان محمد علي يفكر في أن يجعل من نفسه رأس أسرة حاكمة ؛ فما أجدره أن يعد نفسه سعيد الحظ إذا لم يصبح كغيره من الباشوات<sup>(١)</sup> .

ولما كان الملاحون لا تؤثر عنهم زلاقة اللسان وإتقان اللغة الدبلوماسية ، فإن هذه اللغة الجافة لم تكن لها قيمة ، وكان أثرها الوحيد أن فتح الطريق أمام ناپيير للقيام بعمل جديد ، وذلك أنه قبل أن ينتهي من مراسلاته ادعى لنفسه حق التفاوض مع محمد علي ، وشرع في هذه المفاوضة . ومع أنه لم يعط سلطة دبلوماسية تميزه ذلك ، بل فعل ما فعل بتأثير شذوذه أو كبريائه أوهما معاً ، فقد وقع في السابع والعشرين من نوفمبر اتفاقاً مع الباشا ، تعهد فيه ثانيهما أن يخلى الشام ويرد الأسطول العثماني بشرط أن تكون مصر له ولذريته من بعده<sup>(٢)</sup> ، وبناء على هذا الاتفاق استدعى إبراهيم من الشام .

ولم يخالج محمد علي أدنى شك في أن وزارة الخارجية البريطانية قد خوات ناپيير حق التفاوض معه ؛ ولذلك لم يطالب إليه أن يقدم له أوراق اعتماده ، معتقداً أن في لباسه الرسمي أكبر ضمان لصدقه وأمانته ، وأن كلمة الرجل الإنجليزي ليست في حاجة إلى أن تؤيد بالدليل . ويجوز أن ناپيير قال إنه يعمل من تلقاء نفسه ، غير مستند إلى تعليمات من لندن ؛ فإذا كان قد فعل فإن محمداً علياً قد فهم أن قوله هذا مكر دبلوماسي ودهاء ، لأنه لا يستطيع أن يتصور

(١) صبرى في كتابه السالف الذكر ص ٥٢٣ .

(٢) ددول في كتابه السالف الذكر ص ١٩٠ .

ضابطاً بحرياً إنجليزياً ، يقود عمارة بحرية محاصرة ، ثم يفاوض في شروط الصلح دون تفويض من إنجلترا . ولما كان ناپيير رجلاً « شاذاً متكبراً » ، فقد كان شذوذه مانعاً له من إدراك خطورة الغلطة التي ارتكبها .

وكان محمد علي صادقاً مخلصاً في عمله ، وقد بعث فيه هذا الإخلاص احترامه لحلة الإنجليزى الرسمية ، التي جعلتها التقاليد في نظره خير شهادة لصاحبها في العمل الرسمى الذى يقوم به . ولو أنه خالجه شك في مهمة ناپيير لما بقى لهذا الشك أدنى أثر حين رأى القنصل البريطانى العام المستر لاركنجج Mr. Larking يضطلع بدور الوسيط بينه وبين الكومودور .

نقول هذا وحجتنا فيما نقول المحفوظات القنصلية اليونانية<sup>(١)</sup> ، فإن هذه المحفوظات لا تترك مجالاً للشك في التناقض الذى يبدو في ذلك الموقف كله . فإذا صدقنا ما يقوله التقرير الرسمى المرسل إلى أثينا ، فإن أسطولاً بريطانياً قد ضرب السواحل السورية دون أن يسبق هذا الضرب إعلان من أى نوع كان<sup>(٢)</sup> ، ولم يلم الباشا بريطانيا العظمى على هذه المظاهرة العدائية بل ألقى اللوم كله على پلرستون ، وأبى أن يسلم بأنه في حرب مع حكومة الملكة فكتوريا ، ولذلك سمح لقنصل حكومة جلالة ملكة بريطانيا بالبقاء في الإسكندرية . وقد اشترك ممثل وزارة الخارجية البريطانية — ونقول ممثل وزارة الخارجية لأن القنصل لم يكن يمثل وزارة التجارة فحسب ، بل كانت له أيضاً صفات دبلوماسية — مع القائد المحاصر للإسكندرية في القيام بمفاوضات من غير تفويض رسمى لإعادة مياه السلم إلى مجاريها ، مع أنه لم يحدث قط من الوجهة الرسمية ما يعكر صفاءها .

(١) پولينس في كتابه السالف الذكر ص ١٢٠ .

(٢) لاشك أن پلرستون قد رأى أن المذكرة التي بعثت بها الدول في ١٥ يولييه سنة ١٨٤٠ كافية .

٢٧٨ — ٢٧٧ ، ٢٧٣ ، ٢٦٩  
الدرعية : ٣٠ — ٣٦ ، ٣١ — ٣٧ ،  
٣٩ — ٤١ ، ٤٩ ، ٥٧  
الدروز : ٢١٧ ، ٢٦٩  
دروئي ( برناردن ) : ٦٧ — ٦٨ ، ٧٧ ،  
١٣٨ ، ١٤٤ — ١٤٥ ، ١٤٧ ،  
١٤٩  
دريو ( إدورد ) : ٣٦ — ٣٧ ، ٦٠ ، ٨٢  
دريو ( شارل ) : ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ،  
٨٣ ، ١٤٥  
دمشق : ١٦٢ — ١٦٤  
دون ( جورج ) : ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٨٦ ،  
٩٠ ، ٩٥ — ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،  
١٠٤ ، ١١٩ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ،  
١٤٦ — ١٤٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ،  
١٨٤ ، ١٨٥ — ١٨٦ ، ١٨٨ ،  
١٨٩ — ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ،  
٢٠٥ — ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٢  
دوهامل ( الكولونل ) : ١٨٤  
ديسي ( سير إدورد ) : ٢٨٢  
ديفال ( شارل ) : ٧

( ر )

الرس : ٣٥ ، ٣٨  
رشيد محمد باشا : ٨١ ، ١٧٧ — ١٧٩ ،  
١٨١ ، ٢٢١  
رني ( أمير البحرة رني ) : ٦٤ ، ٨٦ ،  
٨٩ ، ٩١ ، ٩٩ — ١٠٤ ، ١٠٥ ،  
١٠٦ — ١١٠ ، ١١٩  
روسن ( أمير البحر ) : ١٨٢ — ١٨٣ ،  
١٨٦ ، ١٨٨ — ١٩٣ ، ١٩٦ —  
٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١١ — ٢١٢ ،  
٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٥٢ — ٢٥٣

جون ( إدورد ) : ٢٩  
جيمنو : ٩٢ ، ٩٦

( ح )

حافظ باشا : ٢٣٠ ، ٢٣٣ — ٢٣٤ ،  
٢٣٥ — ٢٣٦ ، ٢٣٨ — ٢٤١ ،  
٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥١  
حسن باشا : ٦٧  
حسين بك : ٢٢  
حسين داي الجزائر : ١٤٣ — ١٤٤  
حمص ( جبرائيل وفرانسس ) : ٢١٩ ،  
٢٥٧ — ٢٥٨  
حيفا : ١٥٥

( خ )

خسرو : ٧٣ — ٧٤ ، ١٨٤ ، ٢٤٩ ،  
٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ — ٢٦٠ ،  
٢٦٤  
 خليل باشا : ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،  
١٩٠ ، ١٩٢ — ١٩٣ ، ١٩٥ ،  
٢٤٩  
خونسكار اسكاه سي ( معاهدة ) : ٢١٢ ،  
٢٦١ ، ٢٥٥

( د )

دارفور : ٥٠  
داير ( هنري س . ) : ١٠٧ ، ١١١  
دبدور ( أتوان ) : ٢٦١  
ددي ( لورد ) : ٩٠ ، ١٢٤  
ددول ( هنري ) : ٤٣ ، ٤٤ —  
١٠٤ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦١ ،  
٢١٧ ، ٢٢٠ — ٢٢١ ، ٢٥٣ ،  
٢٥٦ ، ٢٦١ — ٢٦٦

(س)

سادلير (الكبتن) : ٧ - ٨  
سانت جون (جيمس أغسطس) : ٥٥ ، ١٤٠

سريرى : ١٥٢  
سعود بن عبد العزيز : ١٩ ، ٢١ - ٢٦ ، ٢٤

سليم (السلطان) : ٢٩  
سليمان باشا (الكولونل سيف) : ٤٥ ، ٤٧ - ٤٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ١٢٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ - ٢٤٠ ، ٢٦٧ ، ٢٨٠

سماركو (أنجيلو) : ٥٦ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ - ١٧٥  
سولت (الفصل العام) : ٩٦ - ٩٧ ، ١٣٤

سولت (المارشال رئيس الوزارة الفرنسية) : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ - ٢٦٢

سيف (أنتلم) (انظر سليمان باشا)

(ش)

شنثيل (الكبتن) : ٦٨  
شوكار : ١٤ ، ١٥

(ص)

صبرى : ٢٥ ، ٧٦ - ٧٧ ، ١٦١ ، ٢٠٣ - ٢٧٢

(ط)

طوسن : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ - ٢٣ ، ٢٦ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٢٨٢

(ع)

عباس باشا : ٢٨٢  
عبد الله بن سعود : ٢٢ - ٢٤ ، ٢٦ - ٣٨  
عبد الله والى عكا : ١٥٢ - ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ - ١٦١ ، ١٦٥

عبد المجيد : ٢٤٩ - ٢٥١ ، ٢٦٠  
عكا : ١٥٢ ، ١٥٧ - ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٢٦٩  
على باشا حاكم يانيا (يانينا) : ٥٣

(غ)

غالى (العلم) : ٥٠ - ٥٣  
غالية : ٢١ - ٢٢

(ف)

فارن (البارون ده) : ١٨٣ - ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٩ - ٢٠٠ ، ٢٠٣

فاسير : ٢٧ ، ٤٦  
فبقيه (الكولونل) : ٦٩ ، ٧٧ ، ٨٤  
فتروى (الفتنت ج. و. و. ه.) : ١٢١  
فرجاني : ٢٣٣ - ٢٣٤

فرونه (مؤتمر) : ٢١٢ - ٢١٣  
فريسفيه : ٢١١ - ٢١٢

فلوز (الكبتن) : ١١٩

فليكي هيتارى : ٥٣ - ٥٤  
قليل (السيوده قليل) : ٦٨ ، ٨٣  
فنانى (جيوئى) : ٦ - ٨

فتننيه (إيميه) : ٤٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٨٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٠

(ق)

قطاوى (رنيه) : ٥٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥



كريه ( چان مری ) : ١٧٤ ، ٣٩ :  
كشليه : ٢٥٣ ، ٢٥٠ — ٢٦٤ ، ٢٥٤  
كلارنس ( الدوق ) : ١٣٢ ، ١٢٣ :  
كلفرت ( جون ) : ١٦ :  
كنارى : ٧٣ ، ٦٢ ، ٥٨ :  
كندريوتس : ٦٤ :  
كوتاهية : ٢٠٣ ، ١٨٥ — ٢٠٩ ، ٢٠٥ :  
٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٢١١ :  
كولوكتونس : ٧٦ :  
كيث ( توماس ) : ٢١ :  
كبيه ( الكبتن ) : ٢٤٤ — ٢٤٨ :

### ( ل )

لاركنج ( الفصل العام ) : ٢٧٤ — ٢٧٥ :  
لتليه : ١١٩ ، ٦٩ :  
لقرون ( الجنرال ) : ٦٨ :  
لندن ( اتفاق لندن عام ١٨٤٠ ) : ٢٦٤ :  
لندن ( معاهدة لندن ١٨٢٧ ) :  
٨٣ — ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٠ :  
لوريوتى : ٦٢ ، ٦١ :  
لوفرنى ( هـ ) : ٧٧ :  
لومان ( أولاد لومان وأبرين ) : ٦١ — ٦٢ :  
لوى فليب ( ملك فرنسا ) : ٢٢٥ — ٢٢٦ :  
٢٢٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٧ :  
لى ( ربرت لـ ) : ٢٧٠ :  
لين پول ( استانلى ) : ٦٦ ، ٧١ ، ٧٧ :  
٧٨ — ٧٩ ، ٨٧ — ٨٨ ، ٩٠ :  
١٣٧ :

### ( م )

مترينج : ٥٩ — ٦٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٦ :  
٩٧ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٢٠٢ :  
٢٢٦ ، ٢٥٥ — ٢٥٦ ، ٢٥٨ :  
٢٦١ ، ٢٧٨ :

١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٥١ :  
١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٥ :  
٢٢١ ، ٢٨٢ :  
قولة : ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١١ ، ١٤ :  
قونية ( موقعة ) : ١٧٨ ، ١٨٠ — ١٨١ :  
٢٢١ :

### ( ك )

كاسلرى ( اللورد ) : ٦٥ :  
كامبل ( الكولونل پاترك ) : ١٣ ، ١٤ :  
٢٠٠ — ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٦ :  
٢٣١ ، ٢٥٦ — ٢٥٧ :  
كاننج ( استرتفورد ) — انظر استرتفورد ده  
ردكلف ( اللورد )  
كاننج ( النائب المحترم جورج ) : ٦٠ :  
٦٥ ، ٧٨ — ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٩ :  
كخرين ( اللورد ) : ٧٦ ، ٨٤ ، ١١٠ :  
١١٢ ، ١١٦ — ١١٨ ، ١٢٧ :  
كدرنجتن ( سير إدورد ) : ٩٢ — ٩٥ :  
٩٨ — ٩٩ ، ١٠٢ — ١١٨ :  
١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ —  
١٣٦ :  
كدلفين وبرو : ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٩ :  
١٦٢ ، ١٧٤ — ١٧٦ ، ١٧٩ :  
١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ —  
٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ :  
٢٤٩ ، ٢٥٠ — ٢٥١ ، ٢٥٤ :  
٢٥٥ — ٢٥٦ ، ٢٥٩ — ٢٦٠ :  
٢٦٢ :  
كرادك ( الكولونل هبرت ) : ١٠٧ :  
١١١ :  
كرادك ( الميجر جـ . هـ . ) : ٩٩ —  
١٠٠ ، ١٢٨ :  
كرزن ( الكبتن إدورد ) : ١٠٧ ، ١١١ :

|                                     |                                      |
|-------------------------------------|--------------------------------------|
| ملكولم است (ا. ف. ا) ١٢٦            | محمد بن عبد الوهاب : ١٨              |
| المالك : ٩ — ١١، ١٨، ٢٠             | محمد سعيد : ١٧                       |
| منجن (فلكس) : ٤، ٢٣، ٢٦، ٣٨         | محمد علي : ٣ — ١٦، ١٨ — ٢٦،          |
| موراثيف (الجنرال) : ١٧٨، ١٨١،       | ٢٨ — ٢٩، ٣٣، ٣٩، ٤٣ —                |
| ١٨٤، ١٩٥                            | ٤٧، ٤٩ — ٥٧، ٦٧، ٦٩ —                |
| مورييه (بول) : ٣ — ٥، ٢٣، ٢٧،       | ٧٢، ٧٤، ٧٧، ٩٥ — ١٠١،                |
| ١٩٣، ١٧٦، ١٥٣، ٨٧، ٣٨               | ١٠٤ — ١٢٧، ١٠٥ — ١٣٠،                |
| ميسو : ١٤٦، ١٤٨، ١٦٧، ١٨٣،          | ١٣٢ — ١٤١، ١٣٥ — ١٥٠،                |
| ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ٢٢٦                  | ١٥١ — ١٥٥، ١٥٩، ١٦١،                 |
| ميولي : ٥٨، ٦٣، ٧٣                  | ١٦٥، ١٦٧ — ١٧٢، ١٧٥،                 |
| (ن)                                 | ١٨٠ — ١٨٨، ١٨٥ — ١٨٩،                |
| نايليون بوناپارت ٢٣، ٢٧، ٤٧، ٥٦،    | ١٩١ — ١٩٣، ١٩٥ — ٢٠٣،                |
| ٢٥٦                                 | ٢١٠ — ٢١١، ٢١٥، ٢١٩،                 |
| نايير (سيرشارلس) : ٢٦٩، ٢٧٢ —       | ٢٢٢ — ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤١ —                |
| ٢٧٨                                 | ٢٤٢، ٢٤٤ — ٢٥٥، ٢٥٦،                 |
| نازلي هانم : ١٤                     | ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩ — ٢٦٠،                 |
| نجد : ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠،       | ٢٦٢ — ٢٦٧، ٢٦٤ — ٢٦٩،                |
| ٣١، ٣٣ — ٣٨، ٤١                     | ٢٧٠، ٢٧٣ — ٢٨٤                       |
| نصيبين : ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٤ — ٢٤٦،       | محمود (السلطان) : ١٥٢ — ١٥٣،         |
| ٢٥٥                                 | ١٦٦، ١٦٨ — ١٧٠، ١٨٢،                 |
| نحور (الدوق ده نحور) : ٦٢، ٦٢،      | ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ٢١١،                  |
| نوارين : ٧٦، ٨٠، ٩٣، ٩٥، ١٠١ —      | ٢٢١ — ٢٢٢، ٢٤٢، ٢٤٣،                 |
| ١٠٢، ١٠٤ — ١٠٧، ١١١،                | ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٥                        |
| ١١٤ — ١١٦، ١١٩ — ١٢٠،               | المدينة المنورة (يثرب) : ١٥، ٢١، ٢٢، |
| ١٢٢ — ١٢٣، ١٢٧، ١٢٩ —               | ٢٣، ٢٦، ٢٨ — ٢٩                      |
| ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٧، ١٥١             | مرن (سين) : ٧                        |
| نوبليا : ٧٦ — ٧٧، ٨٥                | مسلنجي : ٨١، ٨٤، ٨٧، ١٢٧             |
| نور الدين (عثمان) : ١٧٥، ١٧٧        | مفروكر داتو (الكسندر) : ٥٩           |
| نوتر (الدكتور) : ٢٤٢                | مكة : ٨ — ٩، ١٨، ٢٢، ٢٩، ٣٣،         |
| نيل (نائب أمير البحر سير هري) : ١٣١ | ٤١، ١٥٣، ٢٧٩، ٢٨٠                    |
| (ه)                                 | ملكه (هلموث فون ملكه) : ٢٣١، ٢٣٧ —   |
| هيجس (الكولونل) : ٢٥٨، ٢٧٧          | ٢٣٢، ٢٣٧ — ٢٤٠                       |
|                                     | مليجن (الدكتور) : ٢٤٢                |

الوالدة . السلطنة : ٢٥١ — ٢٥٢  
 الوهايون : ١٢ ، ١٨ — ٢٤ ، ٢٩ ،  
 ٣٩ ، ٤٠ — ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ،  
 ٥٣ ، ٦٧ ، ٢٢٥

## (ى)

يانس (وليم هولت) : ٥٧ ، ٧١ — ٧٢ ،  
 ١٤٢ ، ١٥٦ ، ٢٠٦

هلمند (اللورد) : ١٢٩ ، ١٣٠  
 هودر (الكبتن) : ٩٦ — ٩٨ ،  
 ١٤٦ ، ١٤٨  
 هيدرا : ٥٨ ، ٦٣ ، ١٠٠ ، ١٠٨

## (و)

وانجتن (الدوق) : ٥٩ ، ٨١ — ٨٢ ،  
 ١٢٨ — ١٢٩ ، ١٣٥

## خطأ و صواب

| صواب          | خطأ    | سطر  | ص   |
|---------------|--------|------|-----|
| حسين          | حسن    | ١٤   | ٢٢  |
| ترجمة         | تأليف  | هامش | ٣٧  |
| ١٩٢٦          | ١٨٢٦   | ٧    | ٥٦  |
| حملة          | بعثة   | هامش | ٦٨  |
| عليها         | عليه   | ٨    | ١٢١ |
| Mr.           | Ms.    | ١٥   | ١٣٤ |
| يصرف          | يعرف   | ٦    | ١٨٣ |
| ميمو          | ده قرن | ١٢   | ١٨٨ |
| فبراير        | يناير  | ١٤   |     |
| السفير الجديد | ده قرن | ١٤   | ١٨٩ |